

هذا هو الطريق.. بقلم الشهيد سيد قطب- رحمه الله



الأحد 25 سبتمبر 2022 06:35 م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ (169) فَرجين بما آتاهم الله من فضله
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ
وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)) سورة آل عمران

كلما رأيت المتوجسين عن الجهر بكلمة الله، وهم يزعمون الإيمان بالله..

كلما سمعتهم يجمعون بهذه الكلمة ولا يصدعون خيفة أن يمسهم القرح، وان تُسلط عليهم قوى الشر
والطغيان..

كلما وجدتهم يُلبسون هذا الضعف ثوب الكياسة واللباقة والمرونة والدهاء..

كلما أبصرت هذا كله تمثلت لي تلك الآيات القدسية الكريمة ترسم الطريق..

الطريق الذي لا طريق غيره إلى النصر والعزة والمنعة والتوفيق.. وهتفت من أعماق ضميري: ألا إن هذا الدين
لواحد، ألا وإنه لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله.. ألا وان هذا هو الطريق..!

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)).

إنهم لم يقولوا: نحن قلة ضعيفة في كثرة باغية، فلنصبر على الذل، ولنرض بالهوان، ولنجامل الشر، ولننق
الطغيان.. حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً..

فالمؤمن يوقن: (إِنَّ لِلَّهِ لَا يُعَيَّرُ مَا يَقُولُ مَا حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وإن أمر الله إنما يتم بعبادة الذين ينفذون
أمره، وإن السماء لا تمطر على الناس عزاً ولا نصراً إنما هم يصلون قلوبهم بجبار السماء فتهدون عليهم قوى
الأرض، وتهدون معها حياة الأرض.

وعندئذ ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

وعندئذ يمكن الله لهم في الأرض، لأنهم صدعوا بكلمة الله، ولم يخشوا غير الله.

ذكرت هذا كله وأنا أحضر اجتماعاً يقول دعائه: إنهم اجتمعوا لتجديد شباب الإسلام والعمل لنصرة الإسلام، وإعزاز
العالم الإسلامي..

فلما أن جاء ذكر الحكم بالإسلام والعمل بشريعة الإسلام، انتفض منهم الكثيرون مذعورين، أن يثير عليهم هذا
القول ثائرة الاستعمار وغير الاستعمار، وأن يسبب لهم متاعب وعوائق ليس إلى اجتيازها من سبيل.

وقال أوسطهم إنما نحن مؤمنون بأن الإسلام عقيدة وشريعة ودستور ونظام، ولكننا نؤجل هذا إلى حينه، ونأخذ
فيما هو أسلم وأحكم!

قلت في نفسي: كيف ينتصر المنهزمون في ضميرهم منذ اللحظة الأولى؟

وكيف يكافح قوى الشر والطغيان من يَفُرق أن يجهر بالحق في كلمات على الورق، أو كلمات على اللسان؟

وعلم الله ما عجت لشيء عجبى لدبلوماسية الأرقام التي يزاولها منا الرجال.

لا في ميدان الدعوة الإسلامية وحدها، بل في ميدان الصراع القومي مع الاستعمار، والصراع الاجتماعي ضد الطغيان، والصراع الإنساني ضد الشر كله وهو ألوان..

إنهم يسترون الضعف دائماً بستار (العقل)، ويسترون الهزيمة دائماً بستار (المناورة)، ويسترون حب السلامة دائماً بستار (المصلحة العامة).

وإذا جاز لرجال السياسة العصرية الكاذبة الخادعة أن يعتذروا بتلك المعاذير، فإنها لكبيرة أن يستعيرها منهم الدعاة إلى الإسلام.

الإسلام الذي يقول ربه لرسوله: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وَيَنْصِتْهُ مَنْ رَضِيَ مَخَالِفِهِ عَنْهُ مَهْمًا جَامِلًا وَحَاسِنًا، لَأَنَّهُمْ لَنْ يَرْضَوْا عَنْهُ إِلَّا إِذَا تَرَكَ دِينَهُ وَعَقِيدَتَهُ جَمَلَةً: (وَلَنْ تَرَ صِدْقَ عُنُقِ الْيَهُودِ وَلَا لَتَضْرِبُ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)!

إن الذين نداورهم أمهر منا في المداورة، والذين نحسبهم أنفسنا نخدعهم، أكثر منا يقظة وأشد خداعاً.

فلم يبق إلا ذلك الطريق الواضح الصريح النظيف: أن نقول كلمة الحق التي نريد، وأن ندعها تفرع الأسماع والقلوب، وأن نؤمن بالله الذي يقول: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَيَقْوِيُ الْغَرِيبَ) (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَافِقِبَةُ الْأُمُورِ (41)). سورة الحج

وبعد فإن الإسلام الذي ندعو إليه عقيدة تنبثق منها شريعة، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعي، ونظام دولي، ونظام إنساني.

ولا سبيل فيه لفصل العقيدة عن الشريعة، ولا فصل الشريعة عن النظام الذي ننشئه وتحكمه.

فهذه العقيدة لا تتم، بل لا توجد، إذا لم تنشأ معها آثارها الطبيعية التي لا فكاك منها.

فليتحسس عقيدته وليفتقددها من يرى شريعة غير شريعة الإسلام تحكم، ثم لا يبذل جهده في رد الأمر إلى شريعة الإسلام؛ ومن يرى نظاماً غير النظام الإسلامي يسود، ثم لا يعمل عملاً أو يقول قولاً، يصحح به الأوضاع، ويحقق به الصواب.

إن الإسلام لا يعيش في الظلام، فهو نور يعيش في النور، وإن الإسلام لا يخادع ولا يداور، فهو كلمة الحق التي تكره المداورة والخداع. وإن الإسلام حقيقة واقعة تعيش في الأرض، لا سراً ولا مؤامرة تنواري عن الأنظار.

نحن نريد عالماً إسلامياً.. فلندع إلى هذا العالم على أسسه الواضحة الصريحة: شريعة إسلامية، ومجتمع إسلامي..

ولقد مضى - والله الحمد - ذلك العهد الذي كانت الببغاوات تثرثر فيه بأن الدين رجعية، وبأن الإسلام تعصب..

فقد اعترفت مؤتمرات (الخواجات) الذين تقلدهم الببغاوات بأن الشريعة الإسلامية مرجع هام للتشريع الدولي.

ولقد أعجبني الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الأزهر، وهو يقول هذه الحقيقة متهمًا على أحد ببغاواتنا (المنغفين):! «فمن قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. فاصطكت أسنانهم، وارتمت مفاصلهم، فليظنوا: أين هم من ذلك الطريق الذي رسمه الله، في كتاب الله: (إِنَّمَا دُلُّكُمْ لِسَانُ مَنْ يَخُوفُ أَوْ لِيَأْتِيَ) فليظنوا أين يتجه بهم الطريق!».»

إن أضواء النصر تلوح في أفق الفكرة الإسلامية فتجذب إليها الكثيرين.

منهم من يبتغي وجه الله، ومنهم من يحسبها تجارة كاسية.

ولكن الطريق طويل، والعقبات كثيرة، والقرح والابتلاء والاستشهاد ينتظر المجاهدين.

وسيق على بعضهم قول الله: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّعْبَةُ ..) من الآية (42) سورة التوبة

وسيق على الآخرين قوله الكريم: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23))، الأحزاب. وأولئك هم الفائزون.

والله أكبر والله الحمد

(*) مقال نُشر في مجلة الرسالة العدد : 983 الصادر يوم الإثنين 10 من شعبان 1371هـ، الموافق 5 من مايو 1952م
(1) وللشهيد سيد قطب مقال آخر يحمل العنوان نفسه، (هذا هو الطريق) وهو الفصل الأخير من كتابه معالم في الطريق.

<https://ikhwan.online/article/255662>